اصبح بالامكان فيه الحصول على مواد رخيصة ورائقة للعين ، ويستطيع فيه المهندسون الشبان الحاذقون ان يبنوا بسرعة ممرات معبدة وقنوات من البلاستيك، كان من السهل ان يعيش اللاجئون الفلسطينيون في لبنان والاردن في نوع من القرى اللطيفة — التي يعيش فيها الانسان بسرور . لكن الحكومات العربية الغنية والاونروا أسكنت اللاجئين في مآو معدنية ، من الحديد أو الالمنيوم ، حيث البرد صقيعي في الشتاء والحر خانق في الصيف . كل شيء جرى وكأن الهدف منه تحقير الفلسطينيين ، واشعارهم أكثر بواقعهم كلاجئين . اذا كان بين المسؤولين السياسيين عن المخيمات من يعتقد أن ذلك يساعد على ابقاء الفلسطينيين في حالة ترقب بانتظار عودة سريعة لفلسطين ، فهذا الحساب خاطىء . واذا أرادوا أن يجعلوا منهم ثوريين بشكل أسرع ، فهذا الحساب خاطىء ايضا : لان العيش في المنفى وحده كان يكفي لان يجعل الفلسطيني ثوريا . والتعليم ، بجميع أشكاله ، يصبح أسهل وأسهل كذلك اكتشاف طرق الانعتاق . بوعي أو بدون وعي ، عملت البورجوازيات المختلفة على مضاعفة هذا البؤس ، الذي يتجاوز حدود الاختلاف الطبقي .

[illegible] شيء أكثر من ملجأ مؤقت وهزيل للاجئين . اكرر ما قلته من ان مواد البناء هي اليوم سهلة المتناول ولماذا علب التنك ؟ وعين الماء كل ٢٠٠ او ٣٠٠ متر ؟ ولا صيدلية وطبيب واحد للمخيم ؟ يعيش المسؤولون اليوم في مسكن معقول ، فلم لا يعيش اللاجئون كذلك ؟

ان استقلالية الشعب الفلسطيني ومحافظته على شخصيته المميزة يعودان أساسا الى روحه الثورية . لان ما حدث شيء آخر : كلما سحبت الارض من تحت قدميه ، وكلما التجأ الشعب الفلسطيني الى الخيالي ، اكتشف حتى يستمر في البقاء وحتى يواصل مسيرته ، الضرورة الثورية . وهذا يحدث أكثر فأكثر . والعملية الكاملة لم تتم بعد ، ولكن الشعب الفلسطيني تبناها . واذا حافظ على يقظة متقدة ، فسيعمق وعيه القومي ، وهذا الوعي سيحمي الوعي الثوري ، كطريق وحيد نحو الاصالة الفلسطينية .

ومن جهة أخرى ، العروبة . ان خطر العروبة اكبر من خطر الخيالي . ذلك ان الخيالي يحتاج دائما الى امتلاء ولكن العروبة شيء ممتلىء . وهو امتلاء أبوي وأمومي في الوقت نفسه . اقصد انه ايعاز قهري (مع كل ما يرتبط بمفهوم الابــوة : احترام التقاليد ، رجولية متفاقمة ، واصرار على الانتماء الى المجموعة العربية واليها وحدها) . وهو أمومي بمعنى انه التجاء الى كنف هذه المجموعة « للهروب » من عالم الخارج — أي العالم غير العربي — واستعادة ما سماه وائل وما كان يبحث عنه : الحرارة الانسانية.

بدت لي الجهود التدريسية في مخيم البقعة ومخيمات أخرى جديرة بالاهتمام . وكان الاطفال ، أولادا وبنات يبدون تعطشا شديدا للتعلم ، وربما عاد ذلك لنوعية المعلمين ، أو رغبتهم الطبيعية في المعرفة ، أو تطلعهم الى التخلص من سواد المخيمات . (ففي البقعة ، لم تكن هناك مثلا صيدلية واحدة تحتوي على أدوية بدائية والوضع نفسه كان في اربد) . ومن الصعب علي الا اذكر ملاحظات صديق لي ، وهو معلم انكليزي : يحاول الطفل وهو يدون فروضه أن يغطي وراء كوعه الايسر دفتره ، ليمنع جاره من رؤية ما يكتب ، وكذلك ليضع منذ عمر خمس او ست السنوات حدودا لملكيته الخاصة . وكان الصديق يضيف أن بالامكان تفادي هذا التصرف ، بالسماح للطفل الذي يصل الى حل أن يوضح على طريقته هذا الحل الى جاره الصغير .

واذا كنت تطرقت الى هذا الاسلوب بشكل عرضي ، فلأنه يوفر شيئا من الانفتاح والاخوة منذ الطفولة ، ولا أنكر اهمية التنافس ، ومواجهة التحدي وروح الهجوم : ولكني أؤكد على ضرورة التعاون المتبادل منذ السنين الاولى .